الزمن ودلالته في رواية "من وحي الألم لحليمة مالكي"

عائشة سلطان
المشرف: أ.د. أحمد بقار، أستاذ التعليم العالي
مخبر النقد ومصطلحاته
جامعة قاصدي مرباح ورقلة

ملخص
يتناول هذا المقال بالدراسة والتحليل بنية الزمن في رواية "من وحي الألم" لحليمة مالكي، ففي ظل التطور الإبداعي استطاعت الرواية الجزائرية أن تحقق نجاحا كبيرا على الساحة الأدبية العربية، بتناولها لموضوعات مختلفة مست نواحي كثيرة لدى الإنسان، وحاكت الواقع الإنساني وأبعاده المختلفة، وذلك باعتماد التقنيات الفنية لبناء النص الروائي، وتعد بنية الزمن من أهم تلك التقنيات والمكملة لها.
الكلمات المفتاحية: *البنية الزمنية، وحي الألم، حليمة مالكي، الرواية الجزائرية، النقد.*

Résumé
Cet article traite de l'étude et de l'analyse de la structure du temps dans un roman «men wahy alalame » de Halima Maleki, qui a permis au riman algérien de connaitre un grand succés sur la scène littéraire arabe en abordant divers sujets touchant de nombreux aspects de l'homme, en adoptant des techniques techniques pour construire le texte narratif, la structure du temps est l'une des techniques les plus importantes et les plus complémentaires.
Mots-clés *: structure du temps, Halima Malki, roman algérien, Critique.*

Abstract
This article examines and analyzes the structure of time in the novel"men wahy alalame" by Halima Malki Samari, the Algerian novel has achieved a great success in the Arab literary scene because of the various topics of human life and the human reality, depending on the technical elements to build the narrative text and the structure of time is one of the most important and complementary elements.
Keywords*: Halima malki samari, Algerian novel, Critic.*

تمهيد

أولت الدراسات النقدية الحديثة اهتماما كبيرا للنصوص الأدبية، بوصفها أنساقا وأنظمة وبنيات تحمل خصائص فنية وتعبيرية مرتبطة بعلاقات دلالية، لذا انصب الاهتمام على تحليل بنيات العمل الفني، وكشف حركة علاقاتها الداخلية ضمن عناصر البناء السردي.

وتعد الرواية شكلاً أدبيًا وتعبيرًا جماليًا لواقع معقد تعتريه معايير متداخلة، والقصد من هذا التعبير الكشف عن عدة جوانب من هذا الواقع، بكل معطياته وظروفه، مما يحفز الكاتب على الاهتمام بعرضه وتناوله والتطرق إليه وقد كان الوطن محور الكتابات الروائية الجزائرية المعاصرة، إذ دارت حوله الأحداث والمجريات، فكان أكثر المواضيع من حيث الحضور ـفي الإنتاج الروائي الجزائري. وقد عرفت الرواية الجزائرية تحولات عدة وتطورات وتأثيرات بأحداث البلاد، وأثرت فيها وعكستها وظهر ذلك فيما تصورته الإبداعات الروائية على مر المراحل التاريخية ووقائعها ومستجداتها ويكون الحديث ـفي ذلك بداية من الثورة والحرب التحريرية، حيث شغلت الثورة منذ اندلاعها أقلام المبدعين والأدباء، كما أسالت حبر الكثير من أعلام ومثقفي القرن العشرين، ويعود ذلك إلى " *القضايا السامية التي تبنتها منذ اندلاعها وانطلاقاتها وكذلك إلى منهجها العميق وخططها الإستراتيجية، وأبعادها الوطنية والقومية والإنسانية* "[1]، فالثورة كانت عامل أساسي ـفي تحولات الكتابة الجزائرية وتطوراتها، وهذا ما عبرت عنه الرواية الجزائرية وجعلت منه محور الإبداعات الروائية ـفي الجزائر.

دارت أحداث الرواية الجزائرية وموضوعها حول العديد من القضايا، وقد أخذ موضوع الثورة حيزا كبيرا ـفي الكتابة الروائية، مما أسفر على روايات بموضوعات مختلفة منها: الثورة ودور الشباب المثقف النضالي، والثورة والمقاومة الشعبية، والالتزام بقضايا الجماهير ونقد الواقع، وقضية الإرهاب...، إضافة إلى ذلك أن الرواية الجزائرية صورت الجوانب المشرقية ـفي حياة الثورة وهذا كله " لرصد حركة الوعي الثوري داخل الإنسان المظلوم والتفاؤل بانبثاق فجر النصر"[2]، كما صورت الرواية الجزائرية ما ترتب عن الثورة من آثار نفسية واجتماعية وجسدت الواقع وأحوال المجتمع، من خلال وصف القرية وعادات أهلها

---

1 – ينظر، أحمد شريبط، مباحث ـفي الأدب الجزائري المعاصر، اتحاد كتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2001، ص:180.

2 – أحمد طالب، الالتزام ـفي القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة (1976/1931)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1989، ص:54.

ونفسياتهم وهموم الإنسان الجزائري المرتبط بأرضه. فكان الاهتمام بالمضمون الروائي موقفًا اجتماعيًا ينقل من خلاله الخطاب الإيديولوجي "قصد تحقيق الغاية الاجتماعية العامة". ومن بين الأعمال الروائية التي حاكت الواقع الجزائري إبان ثورة التحرير رواية – من وحي الألم– ، حيث صورت الروائية حليمة مالكي3 الحالة الاجتماعية للإنسان الجزائري معتمدة على تقنيات السرد الروائي من أحداث وشخصيات، ومكان وزمان، وهذا الأخير هو محور حديثنا في هذه المقالة.

الزمن في النص الروائي

يعد الزمن عنصرا مهما من عناصر النص السردي، أنه الرابط الحقيقي للأحداث والشخصيات والأمكنة، والرواية من أكثر الفنون الأدبية التصاقا بالزمن، وإذا " اعتبرنا الفنون التشكيلية فنونا مكانية، فإن الرواية تعد فنا زمنيا أو عملا لغويا يجري ويمتد داخل الزمن» "[4]، ويذهب حسن البحراوي إلى أن" لا سرد بدون زمن فمن المتعذر أن نعثر على سرد خالٍ من الزمن، فالزمن هو الذي يوجد في السرد، وليس السرد هو الذي يوجد في الزمن."[5] ، ومن جانب آخر فالزمن عامل أساسي في تصميم الشخصيات وبناء هيكلها وتشكيل أحداثها[6]، وقد حظي الزمن باهتمام الفلاسفة والعلماء والأدباء، ويعد الشكلانيون الروس من الأوائل الذين أدرجوا مبحث الزمن في نظرية الأدب، بارتكازهم على العلاقات التي تربط بين أجزاء الأحداث. ويتم عرض الأحداث في الخطاب الأدبي بطريقتين، إما أن يخضع السرد لمبدأ السببية فتأتي الوقائع متتابعة منطقيا، وهذا ما سموه بالمتن، وإما أن تأتي هذه الأحداث خاضعة لهذا التتابع دون أي منطلق داخلي، دون الاهتمام بالاعتبارات الزمنية وهو ما سموه بالمبنى[7]، وقد درجت الدراسات السردية عمومًا على التفريق بين

---

3 – حليمة مالكي من مواليد قسنطينة بالشرق الجزائري بدايتها الأولى في الكتابة كانت القصة القصيرة، نالت الجائزة الوطنية في مسابقة القصة القصيرة التي نظمتها ولاية قسنطينة احتفاءًا بيوم العلم ..ثم تلتها جائزة أخرى لمسرحية طويلة من 90 ورقة. صدرت للكاتبة رواية "من وحي الألم" عن وزارة الثقافة سنة 2007، وبنفس السنة نالت جائزة بلدان البحر الأبيض المتوسط التي تمنحها اليونيسكو وهي شهادة الاعتراف. كم أن للروائية رواية بعنوان" وداعًا أيتها العيون الوردية"، وهي الرواية الفائزة بجائزة الاستحقاق الدولية لسنة 2012.

4_ الطاهر روابنية، الفضاء الروائي في الجارية والدراويش لعبد الحميد بن هدوقة (في المبنى والمعنى)، مجلة المساءلة، اتحاد الكتاب الجزائريين، ع1، 1991، ص:24.

5 – حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص:117.

6 – ينظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998، ص:10.

7 – ينظر، حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي، ص:107.

زمنيين_في القص هما: زمن القصة وزمن الحكاية، ويراد بزمن القصة : الزمان الطبيعي الذي تسير على وفقه مجريات الأحداث على أرض الوجود بواقعية، أما زمن الحكاية فهو ذلك الزمان الزائف أو الكاذب الذي يحاول أن يقوم مقام الزمان الحقيقي_في القص[8]، وفي هذا الزمان يكون التحكم_في سير الأحداث بيد الراوي.

فالرواية بناء، يعد الزمن محورها، يضبط إنشاءها وتشكيلها ويعمل على هندسة منظوماتها، وبناء على التشكيل الزمني تأخذ الرواية صورتها، فالنص الروائي_في مستواه الأعم: حكاية وخطاب.

بنية الزمن_في رواية "من وحي الألم"

الترتيب الزمني (Chronological order)

إن التداخل الزمني الذي ينتج عن تكسير خطية السرد، ويلغي التسلسل والترتيب لأحداث الحكاية ويعرضها بطريقة تختلف تماما عن طريقة عرضها_في الحكاية، يتم من خلال حركتين أساسيتين، تتجه الحركة الأولى من الزمن الحاضر (حاضر الرواية)، إلى الوراء حيث ماضي الأحداث، وهذه العودة إلى الماضي تظهر من خلال تقنية الاستذكار(الاسترجاع)، أما الحركة الثانية فتتجه من حاضر الرواية أيضا لكن اتجاهها يكون إلى المستقبل عن طريق تقنية الاستباق. وهذه المفارقة السردية تمنح للخطاب الروائي حيويته وفرادته وجماليته فتكون " إزاء مفارقة زمنية توقف استرسال الحكي المتنامي وتفسح المجال أمام نوع من الذهاب والإياب على محور السرد انطلاقا من النقطة التي وصلتها القصة. "[9]، وهذا يعني أن نظام الرواية يقوم على محورين(الاسترجاع، والاستباق) الأول يكمل الثاني، ويعملان على ابرزا جمالية النص من خلال تداخلهما _في سرد أحداث الرواية.

الاسترجاع (Recovery)

يعد الاسترجاع من أكثر التقنيات السردية حضورا وتجليا_في النص الروائي، فهو ذاكرة النص، ومن خلاله يتحايل الراوي على تسلسل الزمن السردي، فيصبح جزءا لا يتجزأ من نسيجه، " فكل عودة للماضي تشكل بالنسبة للسرد استذكارا يقوم به لماضيه الخاص،

---

8 – ينظر، جيرار جنيت، خطاب الحكاية (بحث_في المنهج)، تر: محمد معتصم وغيره، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ط2، 1997، ص: 46.

9 – أدونيس، الثابت والمتحول، دار عودة، بيروت، 1979، ص: 215/213.

ويحيلنا من خلاله إلى أحداث سابقة عن النقطة التي وصلتها القصة "[10]، وينقسم الاسترجاع إلى قسمين: استرجاعات خارجية، واسترجاعات داخلية، فالأول يمثل الوقائع الماضية قبل بدء الحاضر السردي، يستدعيها الراوي في أثناء السرد. وتمنح هذه التقنية للكثير من الشخصيات الحكائية الماضية فرصة الحضور والاستمرارية في زمن السرد الحاضر، أما النوع الثاني فيختص باستعادة أحداث ماضية، ولكنها لاحقة لزمن بدء الحاضر السردي وتقع في محيطه، ونتيجة لتزامن الأحداث يلجأ الراوي إلى التغطية المتناوبة، حيث يترك شخصية ويصاحب أخرى ليغطي حركتها وأحداثها.[11]

وتظهر هذه التقنية في رواية (من وحي الألم) في مقاطع تتميز بارتباطها الفني بالمقاطع السردية وتكشف قدرة الروائية الإبداعية في تحقيق التلاحم النصي، وفي هذا السياق يمكننا أن نتتبع بعض المقاطع الاستذكارية، وهي كالتالي: " كان جوعهم للكرامة والحرية أكبر من جوعهم للخبز و" الكسرة " المصمغة بعرق الفلاح " المحقور"....بعرقهم المهان..."[12]

وفي النص الروائي ورد استرجاع

" كان مؤمنا أيما إيمان بوحدة الصف العربي والذي وإن أصابه الصدع من الداخل فإنه سيظل مصدر هيبة بعين العدو... ".13

لقد جاء هذا الاسترجاع على لسان "خضير" متذكرا به حالة الشعب العربي معتمدا على ضمير الغائب (كان)، وكان عامل هذا الاسترجاع هو الوضع الذي يعيشه الجزائري بسبب الاستعمار.

وفي سياق آخر:

" آه. تذكرت... قال لي أبي أيضا، أنه على الرغم من بنية جسمه الضعيفة، كان العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس جذوة مشتعلة من النشاط والحيوية، والكفاح المصمغ بالنور والنار...، أذكر ذات مرة أن أبي حدث أمي عنه، ومسامعنا تتلفف رغما عنا أخفت الأصوات في تلك الغرفة المنزوية...في ذلك السكون عندما كنا منكبين على مذاكرة

---

10 – ينظر، حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي، ص:121.

11 –ينظر، مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص: 202/195.

12 – حليمة مالكي، رواية " من وحي الألم"، دار الثقافة العربية (موفم للنشر)، الجزائر، 2007، ص: 19.

13 – الرواية، ص:21.

دروسنا..."[14]، فالشخصية تسترجع _في هذا المحكي عن حلم الاستقلال والحرية ، وقد كان عامل الاسترجاع هنا دور المفكرين الجزائريين _ وعلى رأسهم العلامة عبد الحميد ابن باديس_ ومواقفهم الوطنية النبيلة تجاه الوطن.

وفي سياق حكائي آخر: "...لكني_في سريرتي كنت أتوق إلى شيء واحد أفتقده كما تفتقده بلادي، شيء واحد كان همنا المعلن...المكبوت..."[15]، جاء هذا الاسترجاع على لسان " ياقوت" متذكرة به جزءًا من ماضيها، وكان عامل حريتهم المسلوبة.

وعموما نجد أن الاسترجاعات كان لها دور مهم_في تقديم معلومات تخص ماضي الشخصية الروائية، وذلك من خلال الإشارة إلية بقطع المحكي_في أثناء سرد الأحداث الروائية.

الاستباق (Anticipating)

الاستباق مفارقة زمنية سردية تتجه إلى الأمام بعكس الاسترجاع، والاستباق تصوير مستقبلي لحدث سردي سيأتي مفصلا فيما بعد، إذ يقوم الروائي باستباق الحدث الرئيسي_في السرد بأحداث أولية تمهد للآتي وتومئ بالتنبؤ واستشراف ما يمك حدوثه، أو يشير الراوي بإشارة زمنية أولية تعلن صراحة عن حدث ما سوف يقع _في السرد.[16]

وبالتالي تخلق الاستباقات لدى القارئ حالة توقع وانتظار وتنبؤ بمستقبل الحدث والشخصية، وكما قد تكون بمثابة إعلان عن حدث ما بإشارة صريحة انتهى إليها الحدث، ومشاركة القارئ_في النص من أبرز وظائف الاستباق.[17]

وقد عملت الروائية على هذه التقنية بشكل واضح_في الرواية، و يظهر ذلك_في : " ... أنا أيضا سأدافع عن وطني الجزائر... سأكون أحدهم، سأبرهن بالحجة، أنني شبل من ذلك الأسد...، سأريهم كيف يهزم الباطل على يد طفل ليس ككل الأطفال...[18]. وقد جاء هذا الاستباق_في إطار السياق الحكائي حول عمل المجاهدين وكفاحهم ضد الاستعمار، حيث قطع السارد هنا هذا المحكي عن إطاره ليخبرنا بما سيقع له_في المستقبل.

---

14 - ينظر، الرواية، ص:28/22.

15 - الرواية، ص: 180/87/30/19.

16 - ينظر، مها حسن القصراوي، الزمن_في الرواية العربية، ص: 211.

17 - ينظر، المرجع نفسه، ص: 213.

18 - الرواية، ص: 48.

وفي سياق آخر نجد:" هلموا إلي أجدادي... هلموا إلي أكبادي... هلموا إلي أحفادي... ستضحك شمسنا إلى الأبد... سندحر ليلنا إلى الأبد... سننحر الموت... سنطمس المقابر..."[19]، والسارد في هذا المقطع الاستباقي يتوقع النصر والعمل على بناء جزائر مستقلة.

2-المدة (الديمومة) (Duration)

تذهب "يمنى عيد" إلى أن المدة هي" سرعة القص، وتحددها بالنظر في العلاقة بين مدة الوقائع أو الوقت الذي تستغرقه وطول النص قياسا لعدد أسطره أو صفحاته، فقد يقص الراوي في عدد كبير من الصفحات ما يجري في لحظات، أو قد يقص في صفحتين ما جرى في سنوات، أو قد يقص في بضعة أسطر ما جرى في عدة أيام، وقد تمر فترات لا يأتي الكاتب على ذكرها، مما ينشأ عنه ظهور تقانات إبطاء السرد في (الوصف والمشهد)، وتسريعه كما في (التلخيص، والحذف، والقفز).[20]

والتلخيص (Summary) (الموجز، الخلاصة) تكون فيه مساحة النص أصغر من زمن الحدث، أو المرور السريع على أزمنة لا يرى المؤلف أنها جديرة باهتمام القارئ، أي تلخيص عدة أسابيع أو سنوات في صفحات قليلة دون الخوض في التفاصيل، وقد رمز لها جيرار جينت ب: زمن الحكي< زمن الحكاية.

وتظهر هذه التقنية بشكل جلي في الرواية، يقول الراوي: "...أبدا ... لن أنسى تلك الليلة المرعبة التي قضيت شطرها الأكبر بين الموتى والمقابر..."، وفي المقطع: الساعات تمر حبلى بأنواع التقتيل والتعذيب والترهيب...، ثلاث سنوات من دم ونار ودمار...ألا يكفينا هذا؟... / وكيف أنت منا جهينة... عشرة سنوات كاملة وأنت تتمزقين بالصمت بالحكمة...بالسمو...بالألم..."[21]، فالسارد في هذا المحكي يتراجع إلى الوراء ليروي بشكل سريع ما يعانيه الشعب الجزائري من تعذيب واستبداد في سنوات عدة.

أما الحذف (Delete) في الزمن فهو شكل سردي يسقط جزءا من الحدث، أو المادة الوقائعية الخام في النص مكتفيا بالإشارة إليه بصورة ظاهرية أو ضمنية، حينما ينتقل

19 - نفسه، ص: 176.

20 - يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت، ط1، 1999، ص:82.

21 - الرواية، ص:15/187/203/266.

السارد أو الراوي من زمن إلى آخر دون أي شيء عن كيفية تحقيق الحدث[22]. فالحذف تقنية يلجأ إليها الروائي لصعوبة سرد الأيام والحوادث بشكل متسلسل دقيق، وبالتالي لابد من القفز واختيار ما يستحق أن يروى، كما تساعد هذه التقنية على فهم التحولات والقفزات التي تطرأ على سير الأحداث الحكائية.[23]

وقد رمز له جيرار جينت ب: زح=0 ، زق=ن ومنه زح< زق

زح= زمن الحكي، زق= زمن القص.

ولم تغب تقنية الحذف هذه_في رواية من وحي الألم، وقد ورد منها: ... فهمت بعدها وبعد مدة قليلة أنه يريدني أن أعافى أولا من دائي...، ...أنا أبدا التواق إلى قسنطينة...قسنطينتي...بعضي...بعد عام فقط قررت أن أسكن حضنها إلى الأبد."[24]، وقد كثر_في هذا السياق الحكائي مقاطع الحذف، والتي ساهمت_في تسريع الحكي بشكل كبير، وترك المجال أمام المتلقي مفتوحا، كما نلاحظ وجود الفراغات_في شكل نقاط وهي التي تشغل البياض بين الجمل، ووجودها لم يكن عبثا وإنما لخدمة السرد وتسريعه، وفسح المجال أمام المتلقي لبناء تأويلاته.

فالحذف والتلخيص وظيفتين أساسيتين_في تسريع السرد، وتماسك العمل الروائي وتضفي عليه البعد الجمالي.

أما_في المشهد(The scene) فيتم الوقوف على تفاصيل الأحداث وأبعادها وتواليها، لذا " فهو شكل سردي يناقض الخلاصة"[25]، ويمكن تلمس حصوله عبر ثلاث طرق: عن طريق الحوارات بين الشخصيات، ومن خلال الصور الموصوفة_في مكان ما تجري فيه حركة معينة ترصد بصريا عن طريق المشاهدة، أو من خلال الجمع بين النوعين السابقين.

وقد رمز إليه جيرار جينت ب:" زمن الحكي= زمن الحكاية

22 – عواد علي، تقنيات_في السرد القصصي، مجلة الأديب المعاصر، ع44 ،1992، ص:27.

23 – مها حسن القصراوي، الزمن_في الرواية العربية، ص: 233.

24 – الرواية، ص: 100/54.

25 – بان البنا، القواعد السردية (دراسة_في الرواية الإسلامية المعاصرة)، عالم الكتب الحديث، اربد، عمان، ط1، 2009،ص: 62.

ويذهب تودوروف(Todorov) إلى أن المشهد: " حالة التوافق بين الزمنين عندما يتدخل الأسلوب المباشر_في إقحام الواقع التخيلي_في صلب الخطاب خالقة بذلك مشهدا"26، وتساعد هذه التقنية الروائي على كسر رتابة السرد من خلال بث الحركة والحيوية فيه27، فنرى الشخصيات وهي تتحرك وتتكلم وتتصارع.

ويأتي المشهد بنوعين من الحوار، فقد يكون الحوار مع الغير بين شخصين أو أكثر، أو يكون حوارًا مع الذات (الحوار الداخلي، المونولوج) تعتمدها السارد للكشف عن دواخل الشخصيات وما يعتريها من أفكار ومشاعر.

استعملت حليمة مالكي هذه التقنية بشكل بارز، وقد وردت داخل الرواية حوارات داخلية وأخرى خارجية، وضمن المشهد أيضا نجد الحوار، وهذا ما يحقق التوافق الزمني بين الحالات الشعورية والنفسية التي تعيشها الشخصيات_في الرواية وزمن الخطاب، وقد اشتمل السياق الحكائي على مجموعة من الحوارات، نذكر منها: حوار شخصية خضير والعسكري:

- ما اسمك أيها الطفل الجميل...الخجول؟...ما اسمك؟
- محمد
- محمد؟... ولكنك أشقر ولا تشبه هؤلاء العرب؟
- (...)

بل عربي أصيل... ومن قحاح العرب...وهل صادرتم اللون أيضا مثلما صادرتم أرضنا ووطننا...؟؟[28]، والملاحظ على هذا المشهد أنه قد عمل على إبطاء الحكي، وإحداث نوع من التساوي بين زمن الحكاية وزمن الحكي، كما عمل على تصوير اللقاء بين خضير والعسكري.

أما الحوار الداخلي فنجده_في حوار شخصية خضير:" ألا أيها القمر الحبيب ...أين منك ومني ريشتي وألواني؟؟ وأين أنا الآن قلبي أبي الذي فتنت عرشه؟..."، " إحساس غريب

26 – تودوروف تزفيطان، الشعرية، تر: شكري المخبوت، ورجاء سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987، ص:49.

27 – ينظر، مها حسن القصراوي، الزمن_في الرواية العربية، ص: 243.

28 – الرواية، ص: 61/60.

ينتابني اللحظة، يطوقني بالأمان ثم ينثرني ضياعا يبعثر ذاتي_في ذاتي... نباله_في الصميم وهج ثم موت...فيأس.. فأمل كبير"[29]

حوار خضير ولوحة أحمد زبانة

- " ... مالك ياخضير؟... مالك يا بني تحترق بين النقيض والنقيض؟
- هو ذلك ما يقتلني آلاف المرات أيها الشهم العظيم...
- ويقتلني أنا أيضا... آلامك يا خضير أمر وأعمق_في نفسي من المقصلة التي أعدمتني.[30]

فبروز هذه التقنية_في الرواية بشكل كبير ساعد على كسر رتابة السرد، وأعطى للشخصية مجالا للتعبير عن رؤيتها من خلال لغتها المباشرة.

كما اعتمدت الروائية_في إبطاء الزمن على تقنية التوقف (الوقفة الوصفية)(Descriptive stop)، وذلك بتعطيل زمن الحكاية بالاستراحة الزمنية ليتسع بذلك زمن الخطاب ويمتد، فالوصف وقوف بالنسبة إلى السرد ولكنه تواصل وامتداد بالنسبة للخطاب، إذ "يسير المحوران الزمنيان محور زمن الحكاية، ومحور زمن السرد بسرعات مختلفة خلال السرد، ولكن قد يتوقف أحدهما ، وهو هنا محور زمن القصة لتصبح ديمومته صفرا، ويستمر محور زمن الحدث بالجريان إلى مالا نهاية، وذلك_في المقاطع الوصفية والتحليل"[31] ، فالوصف وسيلة تعمل على تأدية وظيفة ترتبط بالنص السردي، وهذا ما دفع إلى ترجيح النص باعتباره وسيلة تخدم النص، وإما أن يأتي باعتباره غاية، فهذا يضعف من شأن العمل الروائي، ذلك " أول ما يجب مراعاته هو عدم الوصف بغاية الوصف، ولكن لإضافة شيء يكون مفيدا للسرد، أو لتقوية الجانب الشعري، فلا ننسى بأن الوصف وسيلة وليس حذفا، أي أنه جزء من الكل وليس أجزاء مكونة للموضوع"[32]، وتتحدد وظائف التوقف عامة_في وظيفتين أساسيتين:" الوظيفة التزينية أو الجمالية، والوظيفة التوضيحية أو التفسيرية."[33]

وقد شغل الوصف حيزا واسعا_في صفحات هذه الرواية، وهو ما نلحظه_في وصف مدينة قسنطينة:

---

29 – ينظر، الرواية، ص: 17.

30 – الرواية، ص: 145/144.

31 – ينظر، بان البنا، القواعد السردية، ص: 63.

32 – حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص: 176.

33 – ينظر، حميد لحمداني، بنية النص السردي(من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص:79.

" ...ساحرة أراها هذه المدينة العجيبة، تبدو لك كامرأة فياضة الأنوثة رائعة...فاتنة، لكنها متقلبة المزاج، تدعوك إليها باسمة، لتنقلب عليك عند بلوغ مشارفها دلالًا...وحياء...وحبا حفيا...، تحتضنك بكل سحرها وجمالها، وتكشف لك أول ما تكشف عن خصرها الفاتن...، جسورها المعلقة مطية إلهام للشاعر والفنان والأديب..."[34]، وفي هذا السياق إبراز مجموعة من سمات مدينة قسنطينة، وكان ذلك قصد التعريف بها للمسرود له، فبمجرد البدء في تحديد تلك الصفات توقف التطور الخطي لسير الأحداث إلى الأمام، ومباشرة بعد الانتهاء عاد الحكي إلى مجراه الطبيعي دون أن تحدث خللا في سياق الحكي.

وفي سياق آخر: " ... يا هؤلاء الغزاة... غلاظ الجانب... نظراتهم الحقودة... متوعدة وقلوبه خاوية بظلمها، إن دخلوا بيوتا أفسدوها... ونكلوا بأهلها، وجعلوا أعزتها أذلة،..."[35]، وقد عمل هذا السياق الوصفي على إيقاف التطور الخطي للأحداث الروائية، وهو وصف تأملي ساهم في توسيع مسافة الحكي وذلك بإيقاف زمن الحكاية، فقد أضافت الروائية من خلال هذه الوسيلة دورا مهما في تحريك العمل الروائي، وفي تصعيد أحداث الرواية.

3-التواتر الزمني(Time frequency)

يمثل التواتر الزمني العلاقة القائمة بين العملية السردية للحدث والتشكيل الزمني، فإذا كان التتابع الزمني يعني المسار الزمني من حيث التوقف، والفقز، والتوافق، فإن التواتر يعني بطبيعة هذا المسار من حيث الأفراد، والتعدد أو التكرار، والنمطية أو الاختزال الزمني36، ومن ثمة نستطيع تقسيم التواتر الزمني إلى ثلاثة أقسام هي:

- التواتر المفرد، أي السرد مرة واحدة لما حدث مرة واحدة، أو السرد الخطي لأحداث القصة.
- التواتر التكراري، تكرار فعل واحد بأكثر من عبارة، وهذا ما جعل النقاد يدخلون التواتر في مجال الأسلوبيات لا الزمن.

34 - ينظر، الرواية، ص: 59/ 63/ 64.

35 - نفسه، ص: 55.

36 - د. مراد عبد الرحمان مبروك، بناء الزمن في الرواية المعاصرة(رواية تيار الوعي نموذجا)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص: 123.

التواتر النمطي، وهو أن يعبر الراوي عن زمن مألوف تمر به الشخصية بشكل دوري، وذلك باستخدام جملة واحدة للتعبير عنه.[37]

وتقنية التواتر حاضرة_في الرواية، وقد ورد التواتر بأنواعه الثلاث، ومن أمثلة ذلك قول الراوي: " كم هو رائع الانتصار... كم هو رائع الانتصار... كم هو رائع الانتصار..."، " الصمت أفلح مرة أخرى_في تشييد أسواره عاليا بين كل أفراد الأسرة..."، " استنطقت حصى الممرات بكل الشعاب والوهدان، عن أقدام متعبة مرة من هاهنا ذات يوم، ذات يوم... ذات سنة... ذات ليلة....."[38]

والملاحظ_في هذا السياق الحكائي أن الروائي لجأ إلى تكرار الكلمات وحصرها_في كلمة أو كلمتين، بهدف عدم إيقاع القارئ_في الملل من كثرة التكرار.

خاتمة

- وظفت الروائية تقنية الزمن_في رواية من وحي الألم بالاعتماد على المفارقات السردية، حيث استطاعت من خلال تقنية الاستباق إلى إبراز حالة التوقع لدى القارئ_في أثناء قراءته للنص، بواسطة أحداث وإشارات توحي له بذلك.

- أما الاسترجاع فقد وظفته الروائية من أجل تنوير اللحظة الحاضرة_في حياة الشخصية وفعلها باستعادة الماضي وإلقاء الضوء على جوانب كثيرة من ماضيها وعالمها الداخلي.

- _في حين جاءت المدة الزمنية بإبطاء السرد وتسريعه، بواسطة مجموعة من التقنيات التي ساعدت على إظهار الرواية بشكل رائع، فالحذف جاء لتحقيق مظهر السرعة_في عرض الوقائع، والخلاصة جاءت لاختزال ما جرى_في سنوات وشهور.

- أما التواتر الزمني فقد رسم للرواية البعد الجمالي، وهكذا فإن رواية " من وحي الألم" جاءت تعبيرا عما كان يعانيه الشعب الجزائري إبان الثورة وحتى_في فترة العشرية السوداء.

37 - المرجع نفسه، ص: 87

38 - ينظر، الرواية، ص: 43/ 71/ 106.